ايتها السماء

اليك تتوق أيتها السماء ... نفوسٌ قد اضرَّ بها الشقاء
ومضّتها على الارض الرزايا ... واسأمها بحبسها الثواء
احقٌّ يا سماء مُنيَ نفوس ... اليكِ لها اليك لها التجاء
تُرجّي فيكِ بعد الموت عيشاً ... فوا اسفاه ان خاب الرجاء
عِدينا ثمَّ ان شئت امطلينا ... فانا بالوعود لنا اكتفاء
وانّا نحن قومٌ قد أُهنا ... وانّا نحنُ قومٌ ابرياء
وانّا قد عشقنا الموت لما ... سمعنا ذكره فتى اللقاء
اذا امست حياة المرء داء ... فليس سوى الحمام لها دواء
يشاء المرء ان يحيا سليماً ... ولكنَّ الحوادث لا تشاء
وما حبّ المعيشة في ديارٍ ... لاحرار النفوس بها جفاء
فلا سقياً ولا رعياً لارضٍ ... تراقُ على جوانبها الدماء
وما سلمت عليها قبل هذا ... من الارزاء حتى الانبياء
انفسي ان جزعتِ من المنايا ... فاني منكِ يا نفسي براء
عبدتِ الادنياء رجاء دنيا ... حوتها بالخداع الادنياء
وأوردتِ الهوانَ فلم تعافي ... فأينَ تحدثي اين الاباء

* * *

ابني يا سماء وخبرينا ... بما لم ندرِ دامَ لكِ العلاء
ولا زالت على مرّ الليالي ... نجومكِ يقتضيه بها القضاء
هل الارواح بعد الموت منا ... لها في جوّك السامي بقاء
ام الارواح تابعةٌ جسوماً ... لنا تبلى فيلحقها الفناء
فضاؤكِ هل يصيرُ الى انتهاء ... ام الابعاد ليس لها انتهاء
وحقٌّ انَّ للاجرام حداً ... ام الحد الذي يعزى افتراء
وبعد نهاية الاجرام قولي ... خلاءٌ في الطبيعة ام ملاء
يحيرني امتدادك في الاعالي ... ويبهجني بزرقتك الصفاء
احبّ ضياء انجمك الزواهي ... فاحسن ما بانجمك الضياء
نجومكِ في دوائر سابحات ... بحقّ بها المهابة والبهاء

تراهى في تحرّكها بطاءً وما هي في تحرّكها بطاله
ولا هي في الجسامة لو علمنا ولا في بعدها عنا سواله

* * *

ابيني يا سماء وخبريني والاّ دام في قلبي امتراه
ابيقى المكثرون من الخطايا اذا ماتوا وليس لهم جزاه
لعمرك لا تريد النفسُ هذا فما اجداي وذو التقوى بواه
رأيت البعض يخشع للثنايا فيذكرها ويغلبهُ البكاه
مخافة ان يلمّ الموتُ يوماً ببنيته فيهدمَ البناه
ويضرب عن وراء الموت صفحاً كأنّ الموت ليس له وراه
فان تسأل يقل ما الموت الا نهاية كلّ من لهم ابتداه
اضاءتك الحياة وكنت قبلاً بليل حشو ظلمته العماه
وجودك بعد ذاك الليل صبحٌ وهذا الصبح يعقبه المساه
رقيت من الجماد فصرت حياً تميزهُ الدراية والذكاه
اقول كذا ولم ازدد يقيناً بما في الامر لو كشف الغطاه

* * *

فقلت لهُ وبعض القول حقٌّ صريحٌ لم يجز فيهِ المراه
أليسَ مركّبَ الاحياء طراً عناصرُ اوضحتها الكيمياه
فقال بلى فقلت لهُ اليس الـ ـعناصر لا تحسّ ولا تشاء
فقال بلى فقلت اذن فما ذا جرى حتى استلبّ لها النماء
وصارت بعد في الانسان جسماً يفكرُ عاقلاً ولهُ دهاء
فقال السرُّ في التركيب انّ الـ ـمركب قد يقوم بهِ ارتقاء
اذا اتحدت عناصرُ في بناء تغير وصفه ذاك البناء
وجدّ لهُ خصائصُ ذاتُ شانٍ عناصرُ جسمهُ منها خلاء
وانّ حياتنا والموت فاعلم اجيجٌ في العناصر وانطفاء
ولكنّ التعصب في الناس اضاعهم الهوى داء عياء
وافهامُ الجهول الحقّ مرّاً عناءٌ ليس يشبهه عناء
وفي الاصل الجواهر لو علمنا قوىً منها الاثيرُ له امتلاء

تلاقى بينها فتكون منها جواهرُ في النفار لها ولاء
صغيرات الحجوم محقراتٌ ومنها الكائناتُ لها ابتناء
تضمّن قوتي جذب ودفع كما بيديهِ هذا الكهرباء
وانّ الشمس والاجرام طرّاً من الحركات ولدها السماء
لكلّ مقولة منها اليها على الدور ابتداءٌ وانتهاء
فان برزت فذاك لها وجودٌ وان خفيت فذاك له فناء

* * *

سماؤك هذهِ تحوي نجوماً لا كثرها عن البصر اختفاء
فتحسب ما يريك الليلُ منها شموعاً في الصباح لها انطفاء
وما هي لو تعي الاّ شموسٌ بها ليدي منوّرها اعتناء
شموس قد اضاء الجوّ منها وزال بها عن الكون العماء
يصغّرُها بعينك حين ترنو لها بعدٌ هنالك واعتلاء
اهمّ بان اعد الارض منها كواحدة فيمنعني الحياء
فانّ الارض تابعة لشمس الى امّ النجوم لها انتماء
فنيهي يا سماء فليس شيءٌ تكوّن فيكِ عنك لهُ غناء
فأنتِ لكلّ موجودٍ وجودٌ وأنتِ لكلّ موجودٍ وعاء
وهذا الجوّ انتِ لهُ امتدادٌ وهذي الارض انتِ لها غطاء
وانّ وجود ما في الكون طراً عليكِ اذا تأملنا ثناء
يليق يليق (ما استعليتِ كبراً) بشأنكِ يا سماء الكبرياء
فقبل القبل كنتِ كذا سماء ولا شمسٌ هنالكَ ولا ضياء
ستفنى الكائنات وليس الاّ لوجهِ الله ثمّ لكِ البقاء

* * *

فقلت لهُ رعاكَ الله هذا على ما جاء في العلم اعتداء
فان حقائق الاشياء سرٌّ خفيٌّ ما لغامضهُ انجلاء
وابدت قبلنا الحكماء فيها اقاويلاً ثما يرح الخفاء